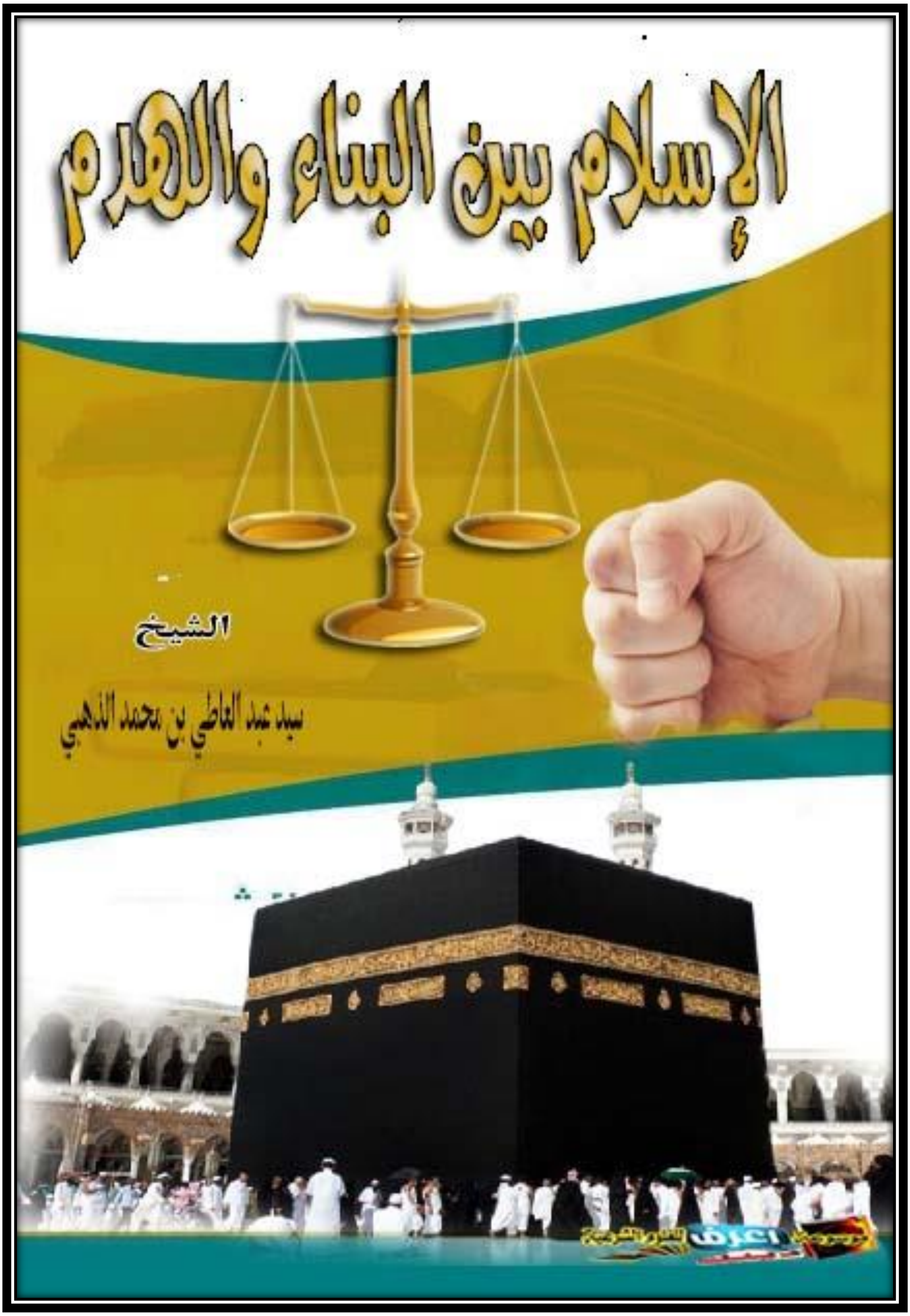

الإسلام بين البناء والهدم
الشيخ
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام بين البناء والهدم

الشيخ

سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

موسوعة اعرف للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

..تمهيد..

الْحَمْدُ للَّهِ جَلَّ وَعَلَا ،ذِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى،وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى.

•أمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{الْإِسْلَام بَيْنَ الْبِنَاءِ وَالْهَدْمِ}فَيهَا بَيَانٌ لِمَنْهَجِ الْإِسْلَامِ فِي بِنَاءِ الْحَقِّ وَهَدْمِ الْبَاطِلِ،وَالْمَوْضُوعَاتُ الْمُهِمَّةُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ تَمْهِيدٍ فَأَقُولُ مُمَهِّدًا:

•إنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الشَّرِيعَةُ الْخَاتَمَةُ الَّتِي ارْتَضَاهَا اللَّهُ تَعَالَى للنَّاسِ دِينًا،فَهُوَ الدِّينُ الَّذِي أكْمَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى،وَهُوَ النِّعْمَةُ الَّتِي أتَمَّهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ،وَهُوَ الْمِنْهَاجُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى للبَشَرِيَّةِ فَقَالَ تَعَالَى:{..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..}.(الْمَائدَةُ:٣).،أيْ:بِتَمَامِ النَّصْرِ، وَتَكْمِيلِ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ،الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَلِهَذَا كَانَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ كَافِيَيْنِ كُلَّ الْكِفَايَةِ، فِي أحْكَامِ الدِّينِ أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ. فَكُلُّ مُتَكَلِّفٍ يَزْعُمُ أنَّهُ لَا بُدَّ للنَّاسِ فِي مَعْرِفَةِ عَقَائِدِهِمْ وَأحْكَامِهِمْ إلَى عُلُومٍ غَيْرِ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ، فَهُوَ جَاهِلٌ، مُبْطِلٌ فِي دَعْوَاهُ، قَدْ زَعَمَ أنَّ الدِّينَ لَا يَكْمُلُ إلَّا

بِمَا قَالَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ وَالتَّجْهِيلِ للَّهِ وَلِرَسُولِهِ. {وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} أَيْ: اخْتَرْتُهُ وَاصْطَفَيْتُهُ لَكُمْ دِينًا، كَمَا ارْتَضَيْتُكُمْ لَهُ، فَقُومُوا بِهِ شُكْرًا لِرَبِّكُمْ، وَاحْمَدُوا الَّذِي مَنَّ عَلَيْكُمْ بِأَفْضَلِ الْأَدْيَانِ وَأَشْرَفِهَا وَأَكْمَلِهَا.

•فَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ بَيْنَ الْبِنَاءِ وَالْهَدْمِ،بِنَاءِ الْحَقِّ وَهَدْمِ الْبَاطِلِ،بِنَاءِ التَّوْحِيدِ وَهَدْمِ الشِّرْكِ،بِنَاءِ السُّنَّةِ وَهَدْمِ الْبِدْعَةِ،بِنَاءِ الْمَعْرُوفِ وَهَدْمِ الْمُنْكَرِ،بِنَاءِ الْخَيْرِ وَهَدْمِ الشَّرِّ،بِنَاءِ الْفَضِيلَةِ وَهَدْمِ الرَّذِيلَةِ،بِنَاءِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ وَهَدْمِ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ،بِنَاءِ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ وَهَدْمِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا}.(الفرقان:١).

-هَذَا بَيَانٌ لِعَظَمَتِهِ الْكَامِلَةِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَكَثْرَةِ خَيْرَاتِهِ وَإِحْسَانِهِ فَقَالَ: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ أَيْ: تَعَاظَمَ وَكَمُلَتْ أَوْصَافُهُ وَكَثُرَتْ خَيْرَاتُهُ الَّذِي مِنْ أَعْظَمِ خَيْرَاتِهِ وَنِعَمِهِ أَنْ نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ الْفَارِقَ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ وَأَهْلِ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، {عَلَى عَبْدِهِ} مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي كَمَّلَ مَرَاتِبَ الْعُبُودِيَّةِ وَفَاقَ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ،﴿ لِيَكُونَ ﴾ ذَلِكَ الْإِنْزَالُ لِلفُرْقَانِ عَلَى عَبْدِهِ ﴿ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ يُنْذِرُهُمْ بَأسَ اللَّهِ وَنِقَمِهِ وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَوَاقِعَ رِضَا اللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ، حَتَّى إِنَّ مَنْ قَبِلَ نَذَارَتَهُ وَعَمِلَ بِهَا كَانَ مِنَ النَّاجِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الَّذِينَ حَصَلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ وَالْمُلْكُ السَّرْمَدِيُّ، فَهَلْ فَوْقَ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَهَذَا الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ شَيءٌ؟ فَتَبَارَكَ الَّذِي هَذَا مِنْ بَعْضِ إِحْسَانِهِ وَبَرَكَاتِهِ.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٧٢٨١)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:{جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ}.

-فَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْرَ نَبِيِّهِ- مُحمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَجَعَلَ لَهُ مَكَانَةً عَظِيمَةً بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ إِذْ أَرْسَلَهُ هِدَايَةً وَرَحْمَةً للعَالَمِينَ، وَخَتَمَ بِهِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةَ، وَأَكْمَلَ بِهِ الدِّينَ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مَثَلًا يُبَيِّنُ بَعْضَ خَصَائِصِهِ وَفَضَائِلِهِ؛فَيَرْوِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-قِصَّةً سَمِعَهَا مِنَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،حَيْثُ يُخْبِرُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَهُوَ نَائِمٌ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَلَائِكَةُ قَالَتْ:إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَالْمُخَاطَبُ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ-(مَثَلًا)، أَيْ: صِفَةً عَجِيبَةَ الشَّأْنِ،(فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا) يُبَيِّنُ حَالَتَهُ الْعَجِيبَةَ، فَقَالَ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ: (إِنَّهُ نَائِمٌ)، فَلَنْ يَسْمَعَنَا، فَلَا يُفِيدُ ضَرْبُ الْمَثَلِ شَيْئًا،(وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ) يَعِي وَيُدْرِكُ، فَلَا يَفُوتُهُ شَيءٌ مِمَّا تَقُولُونَ؛ فَإِنَّ الْمَدَارَ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَاطِنِيَّةِ دُونَ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرِيَّةِ، وَقِيلَ: هَذَا تَمْثِيلٌ يُرَادُ بِهِ حَيَاةُ الْقَلْبِ وَصِحَّةُ خَوَاطِرِهِ، يُقَالُ: رَجُلٌ يَقِظٌ؛ إِذَا كَانَ ذَكِيَّ الْقَلْبِ، وَهَذِهِ مُنَاظَرَةٌ جَرَتْ بَيْنَهُمْ بَيَانًا وَتَحْقِيقًا لِمَا أَنَّ النُّفُوسَ الْكَامِلَةَ لَا يَضْعُفُ إِدْرَاكُهَا بِضَعْفِ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ وَاسْتِرَاحَةِ الْأَبْدَانِ، بَلْ رُبَّمَا يَقْوَى إِدْرَاكُهَا عِنْدَ ضَعْفِهَا،(فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا)، وَأَقَامَ فِي الدَّارِ مَأْدُبَةً، وَهِيَ كُلُّ طَعَامٍ عَامٍّ يُدْعَى النَّاسُ إِلَيْهِ،

كَالْوَلِيمَةِ، وَبَعَثَ دَاعِيًا مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُل مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا:(أَوِّلُوهَا)، أَيْ: فَسِّرُوا هَذِهِ الْحِكَايَةَ التَّمْثِيلِيَّةَ لِمُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، (يَفْقَهْهَا)، أَيْ: لِيَفْهَمَهَا،(فَقَالَ بَعْضُهُم: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ) وَكَرَّرُوا هَذَا؛ لِتَنْبِيهِ السَّامِعِينَ إِلَى هَذِهِ الْمَنْقَبَةِ الْعَظِيمَةِ لَدَى النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهِيَ نَوْمُ الْعَيْنِ وَيَقَظَةُ الْقَلْبِ، (فَقَالُوا: فَالدَّارُ) الْمُمَثَّلُ بِهَا هِيَ (الْجَنَّةُ)، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ خَالِقُ الْجَنَّةِ وَبَانِيهَا، (وَالدَّاعِي) لِلنَّاسِ الْمُرْسَلُ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا هُوَ (مُحَمَّدٌ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-)، (فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

،فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)؛لِأَنَّهُ رَسُولُ صَاحِبِ الْمَأْدُبَةِ ،فَمَنْ أَجَابَهُ وَدَخَلَ فِي دَعْوَتِهِ أَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَقَوْلُهُمْ:(وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ)،أَيْ: هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَالصَّالِحِ وَالطَّالِحِ؛ إِذْ بِهِ تَمَيَّزَتِ الْأَعْمَالُ وَالْعُمَّالُ، وَهَذَا كَالتَّذْيِيلِ لِلْكَلَامِ السَّابِقِ؛ لِأَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَعْنَاهُ وَمُؤَكِّدٌ لَهُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: إِيقَاظٌ لِلسَّامِعِينَ مِنْ رَقْدَةِ الْغَفْلَةِ وَسِنَةِ الْجَهَالَةِ، وَحَثٌّ لَهُمْ عَلَى الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا يُخَالِفُهُمَا مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ.

-وَفِيهِ: بَيَانُ عِظَمِ مَكَانَةِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَعِنْدَ الْمَلَائِكَةِ.

-وَفِيهِ: مَشْرُوعِيَّةُ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ لِتَوْضِيحِ الْمَعَانِي الْغَامِضَةِ فِي الدِّينِ.

-وَفِيهِ:بَيَانُ مَنْهَجِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي الْبِنَاءِ وَالْهَدْمِ وَالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالسُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ.

•وَبَعْدَ هَذَا التَّمْهِدِ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

•أَوَّلًا:الْإِسْلَامُ وَالْبِنَاءُ:

-جَاءَ الْإِسْلَامُ لِبِنَاءِ قِيَمِ الْخَيْرِ وَالحَثِّ عَلَيْهَا وَسَلَكَ مَسْلَكًا عَظِيمًا حَيْثُ بَدَأَ بِبِنَاءِ الْإِنْسَانِ ثُمَّ بِنَاءِ الْأَوْطَانِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

(أ)الْإِسْلَامُ وَبِنَاءِ الْإِنْسَانِ:

-لَقَدْ حَرَصَ الْإِسْلَامُ حِرْصًا شَدِيدًا عَلَى بِنَاءِ الْإِنْسَانِ بِنَاءً مُتَكَامِلًا عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَالْفَهْمِ السَّدِيدِ،ذَلِكَ لأَنَّ بِنَاءَ الدَّوْلَةِ ثَمَرَةٌ لِبِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ،وَبِنَاء الْمُجْتَمَعِ ثَمَرَةٌ لِبِنَاءِ الْإِنْسَانِ،الْإِنْسَانِ الْمُؤَهَّلِ للخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ وَإِعْمَارِهَا بِقِيَمِ الْعَدْلِ وَالْخَيْرِ،لِذَلِكَ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدَ عَشَرَ قَسَمًا فِي صَدْرِ سُورَةِ الشَّمْسِ عَلَى أَنَّ الْفَلَاحَ مَنُوطٌ بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ،وَالْخَيْبَةَ وَالْخُسْرَانَ مَنُوطَانِ بِتَدْسِيَةِ النَّفْسِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا (١) وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (٢) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا (٤) وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا (٥) وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا (٦) وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨) قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠) كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ (١١) إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا }.(الشمس:١-١٥).

-نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى وَهِيَ السِّرِّيَّة مِنَ الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ، وَمَقْصِدُهَا التَّأْكِيدُ بِالْقَسَمِ أَحَدَ عَشَرَ مَرَّةٍ بِثَمَانِ آيَاتٍ عَظِيمَةٍ وَبِذَاتِ اللَّهِ

سُبْحَانَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَلَى أَنَّ النَّفْسَ جُبِلَتْ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَأَنَّ اللَّهَ أَلْهَمَهَا طَرِيقَ فَلَاحِهَا وَطَرِيقَ خَيْبَتِهَا: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)}. وَتَضَمَّنَتْ مَجْمُوعَتَيْنِ مِنَ الْآيَاتِ: اسْتَهَلَّتِ الْأولَى بِالْقَسَمِ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَبِالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا بِنُورِهِ مِنْهَا، وَبِالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا بِضِيَائِهِ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا بِظَلَامِهِ، وَبِالسَّمَاءِ وَبِنَائِهَا وَبَانِيهَا، وَبِالْأَرْضِ وَبَسْطِهَا، وَبِالنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي سَوَّاهَا اللَّهُ وَأَبْدَعَهَا، وَزَيَّنَهَا وَكَمَّلَهَا وَأَلْهَمَهَا فَلَاحَ مَنْ زَكَّاهَا وَخَيْبَةَ مَنْ دَسَّاهَا. وَالْمَجْمُوعَةَ الثَّانِيَةَ فِيهَا الدَّلِيلُ عَلَى انْقِسَامِ النُّفُوسِ إِلَى زَكِيَّةٍ مُفْلِحَةٍ وَإِلَى دَسِيَّةٍ خَائِبَةٍ بِذِكْرِ قِصَّةِ هَلَاكِ ثَمُود حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ وَطَغَوْا وَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ، فَأُهْلِكُوا جَمِيعًا، كَمَا يَلِي:

-(الْآيَاتُ ١١-١٥): كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا وَفُجُورهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: احْذَرُوا عَاقِبَةَ أَنْ تَمَسُّوا آيَةَ النَّاقَةِ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَسُقْيَاهَا بِسُوءٍ، فَكَذَّبُوهُ فِيمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ فَقَتَلُوهَا، فَأَطْبَقَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ الْعُقُوبَةَ بِجُرْمِهِمْ فَأَهْلِكُوا جَمِيعًا وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ (فَقَدْ آثَرُوا الدَّسَاةَ بِالْفُجُورِ عَلَى الزَّكَاةِ بِالتَّقْوَى)، وَلَا يَخَافُ (وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ) تَبِعَةَ مَا أَنْزَلَهُ بِهِمْ مِنَ الْعِقَابِ (بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ).

-وَلَمَّا اسْتَهَلَّتْ بِالْقَسَمِ بِالْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ فِي الظُّهُورِ وَالِاخْتِفَاءِ وَالْمُتَنَاسِقَةِ وَالْمُتَنَاسِبَةِ مَعَ مَا يُنَاظِرُهَا مِنَ الزَّكَاةِ وَالدَّسَاةِ فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلَمَّا سُخِّرَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِحْكَامٍ وَاتِّزَانٍ دَقِيقٍ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَعِلْمِهِ وَرَحْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَدَلَّتْ بِمَجْمُوعِهَا عَلَى ثَبَاتِ سُنَّتِهِ الْعَادِلَةِ وَفِطْرَتِهِ الْقَوِيمَةِ بِالظُّهُورِ وَدَوَامِ النُّمُوِّ وَالرُّقِيِّ بِالنُّورِ وَالزَّكَاةِ وَنَقِيضُهُ الْخَفَاءُ وَالْهُبُوطُ الْمُسْتَمِرُّ بِالظَّلَامِ وَالدَّسَاةِ، فَقَدْ أَشَارَتْ بِهَذَا وَأَكَّدَتْ عَلَى فَلَاحِ الْإِنْسَانِ وَنَجَاحِهِ إِذَا اتَّقَى اللَّهَ وَنَمَّى نَفْسَهُ وَزَكَّاهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهَا، وَعَلَى شَقَاوَتِهِ وَخُسْرَانِهِ إِذَا طَغَى وَتَمَرَّدَ وَفَسَقَ وَفَجَرَ وَدَسَّاهَا بِأَعْمَالِ الْفَسَادِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَمَعْصِيَةِ أَوَامِرِ اللَّهِ وَاقْتِرَافِ نَوَاهِيهِ؛ وَقَدْ أَكَّدَتْهُ فِي بِدَايَتِهَا

بِالْقَسَمِ بِآيَاتِ الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ وَحُسْنِ التَّدْبِيرِ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ فِي أَوْسَطِهَا بِإِلْهَامِ التَّقْوَى وَالْفُجُورِ نَظِير آيَاتِ النُّورِ وَالظَّلَامِ، وَأَقَامَتْ عَلَيْهِ فِي آخِرِهَا الدَّلِيلَ بِقِصَّةِ هَلَاكِ ثَمُودَ.

-قَالَ الْإِمَامُ الْبَقَاعِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: {مَقْصُودُهَا إِثْبَاتُ تَصَرُّفِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي النُّفُوسِ الَّتِي هِيَ سُرُجُ الْأَبْدَانِ، تَقُودُهَا إِلَى سَعَادَةٍ أَوْ كَيْدٍ وَهَوَانٍ وَنَكَدٍ، كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ سِرَاجُ الْفَلَكِ، يَتَصَرَّفُ سُبْحَانَهُ فِي النُّفُوسِ بِالاخْتِيَارِ إِضْلَالاً وَهِدَايَةً نَعِيمًا وَشَقَاوَةً كَتَصَرُّفِهِ سُبْحَانَهُ فِي الشَّمْسِ بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنْ صِحَّةٍ وَاعْتِلَالٍ، وَانْتِظَامٍ وَاخْتِلَالٍ، وَكَذَا فِي جَمِيعِ الْأَكْوَانِ، بِمَا لَهُ مِنْ عَظِيمِ الشَّأْنِ، وَاسْمُهَا الشَّمْسُ وَاضِحُ الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ بِتَأَمُّلِ الْقَسَمِ وَالْمُقْسَمِ عَلَيْهِ بِمَا أَعْلَمَ بِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ}.

•لَقَدْ حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى تَزْكِيَةِ النَّفْسِ لِبِنَاءِ الْإِنْسَانِ الصَّالِحِ الَّذِي يُسْهِمُ فِي بِنَاءِ أُمَّتِهِ وَرُقِيِّهَا وَازْدِهَارِهَا،وَجَعَلَ لِهَذِهِ التَّزْكِيَةِ وَسَائلَ كَثِيرَةً مِنْهَا:

(١)التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ:

-فَأَعْظَمُ وَسَائِلِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ للَّهِ تَعَالَى،

فَالتَّوْحِيدُ طَهَارَةٌ لِلنَّفْسِ مِنْ دَرَنِ الشِّرْكِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.(التَّوبة:٢٨).

-فَقَوْلُهُ:{إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ}أَيْ:الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ الَّذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرَهُ {نَجَسٌ} أَيْ: خُبَثَاءٌ فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَيُّ نَجَاسَةٍ أَبْلَغُ مِمَّنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَا تُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا؟.،وَأَعْمَالُهُمْ مَا بَيْنَ مُحَارَبَةٍ للَّهِ، وَصَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَنَصْرٍ للبَاطِلِ،

وَرَدٍّ للحَقِّ، وَعَمَلٍ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ لَا فِي الصَّلَاحِ، فَعَلَيْكُمْ أنْ تُطَهِّرُوا أشْرَفَ الْبُيُوتِ وَأطْهَرَهَا عَنْهُمْ.

-مَمَا دَامَ الشِّرْكُ نَجَسًا فَبِمَفْهُومِ الْمُخَالَفَةِ التَّوْحِيدُ طُهْرٌ وَتَزْكِيَةٌ لِذَا فَكَلِمَةُ التَّوْحِيدِ هِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ ،وَالْإِخْلَاصُ لُغَةً مُشْتَقٌّ مِنْ خَلَصَ أيْ صَفَا وَزَالَ عَنْهُ شَوْبُهُ،وَالْمُخْلِصُ الَّذِي وَحَّدَ اللَّهَ خَالِصًا،مِنْ أجْلِ ذَلِكَ سُمِّيَتْ:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أحَدٌ}سُورَةَ الْإِخْلَاصِ لأنَّ اللَّافِظَ بِهَا قَدْ أخْلَصَ التَّوْحِيدَ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،فَالصَّفَاءُ حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ،فَالتَّوْحِيدُ تَزْكِيَةٌ للنَّفْسِ،وَالْمُوَحِّدُ هُوَ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً فَأفْرَدَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ فَهُوَ الْخَالِقُ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ الْقَائلُ سُبْحَانَهُ:{قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}.(آل عمران:٢٦).

،وَأفْرَدَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فِي أُلُوهِيَّتِهِ فَهُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ سُبْحَانَهُ الْقَائلُ:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ(١٦٢)لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}. (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

،وَأفْرَدَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فِي أسْمَائهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَى فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْقَائلُ:{وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}.(الأعراف: ١٨٠).،فَوَصَفَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ بِمَا وَصَفَ رَبُّهُ بِهِ ذَاتَهُ فِي كِتَابِهِ،وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي صَحِيحِ سُنَّتِهِ بِلَا تَعْطِيلٍ وَبِلَا تَحْرِيفٍ وَبِلَا تَكْيِيفٍ وَبِلَا تَمْثِيلٍ،وَبَنَى جَمِيعَ آيَاتِ الْأسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى الْأصْلِ الْمُحْكَمِ فِي الْقُرْآنِ:{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.(الشُّورى:١١).

-فَالتَّوْحِيدُ تَزْكِيَةٌ وَطَهَارَةٌ وَسَبَبٌ للأمْنِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ،

فَبِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ يَحْيَا الْمُؤْمِنُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَيَاةَ الْأمْنِ وَالسَّكِينَةِ وَالطُّمَأنِينَةِ، مَعَ مَا يَرْجُوهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الثَّوَابِ الْحَسَنِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ : {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ }.(الأنعام:٨٢).

(٢-٣)أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ:

-وَمِنْ وَسَائلِ التَّزْكِيَةِ أدَاءُ الْفَرَائضِ وَالنَّوَافِلِ.

•فَقَدْأَخْرَجَ الإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ بِرقَم

(٦١٣٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ}.

-فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ إِيذَاءَ الْمُؤْمِنِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَتَوَعَّدَ الْمُجْتَرِئَ عَلَى ذَلِكَ بِالْعِقَابِ الْألِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَزْدَادُ التَّحْرِيمُ شِدَّةً، وَيَزْدَادُ الْوَعِيدُ بِالْعِقَابِ خُطُورَةً؛ إِذَا كَانَ الْوَاقِعُ عَلَيْهِ الْإِيذَاءُ أحَدَ الصَّالِحِينَ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ:{مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا}، أيْ: ألْحَقَ الْأذَى بِوَلِيٍّ مِنَ أوْلِيَاءِ اللَّهِ،

وَالْوَلِيُّ: هُوَ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ، الْعَالِمُ بِاللَّهِ تَعَالَى، الْمُوَاظِبُ عَلَى طَاعَتِهِ،الْمُخْلِصُ فِي عِبَادَتِهِ. وَهُوَ أَيْضًا مَنْ يَتَوَلَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرَهُ وَلَا يَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ لَحْظَةً، بَلْ يَتَوَلَّى الْحَقُّ رِعَايَتَهُ، أَوْ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى عِبَادَةَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ، فَعِبَادَاتُهُ تَجْرِي عَلَى التَّوَالِي مِنْ غيْرِ أنْ يَتخَلَّلَهَا عِصْيَانٌ.

-فَمَنْ عَادَى وَلِيَّ اللَّهِ،فَقَدْ أَعْلَنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَرْبَ عَلَيْهِ، وَهَذَا فِيهِ الْغَايَةُ القُصْوَى مِنَ التَّهْدِيدِ؛ إِذْ مَنْ حَارَبَهُ اللَّهُ وَعَامَلَهُ مُعَامَلَةَ الْمُحَارِبِ، فَهُوَ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ، وَمَنْ يُطِيقُ حَرْبَ اللَّهِ؟!

ثُمَّ قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ:{وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ}، أَيْ:أَوْجَبْتُهُ عَلَيْهِ؛فَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّوَافِلِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ صِيَامِ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَالْأَيَّامِ السِّتَّةِ مِنْ شَوَّالٍ، وَمَا أَشْبَهَهَا؛ فَالْفَرَائِضُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ وَأَوْكَدُ.{وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافلِ}مَعَ الْفَرَائِضِ، كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنَ الْفَرِيضَةِ؛ فَالنَّوَافِلُ تُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ،وَهِيَ تُكَمِّلُ الْفَرَائِضَ،فَإِذَا أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ مِنَ النَّوَافِلِ مَعَ قِيَامِهِ بِالْفَرَائِضِ، نَالَ مَحَبَّةَ اللَّهِ،فَيُحِبُّهُ اللَّهُ،وَإِذَا أَحَبَّهُ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا،وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، يَعْنِي أَنَّهُ يَكُونُ مُسَدِّدًا لَهُ فِي هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الْأَرْبَعَةِ؛ يُسَدِّدُهُ فِي سَمْعِهِ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مَا يُرْضِي اللَّهَ، وَيُسَدِّدُهُ فِي بَصَرِهِ، فَلَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى مَا يُحِبُّ اللَّهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى الْمُحَرَّمِ، وَيُسَدِّدُهُ فِي يَدِهِ، فَلَا يَعْمَلُ بِيَدِهِ إِلَّا مَا يُرْضِي اللَّهَ؛ لأنَّ اللَّهَ يُسَدِّدُهُ، وَكَذَلِكَ رِجْلُهُ، فَلَا يَمْشِي إِلَّا إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ؛ لأنَّ اللَّهَ يُسَدِّدُهُ، فَلَا يَسْعَى إِلَّا إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ.وَإِنْ سَأَلَ اللَّهَ شَيْئًا فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِ مَا سَأَلَ، فَيَكُونُ مُجَابَ الدَّعْوَةِ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ وَلَجَأَ إِلَيْهِ طَلَبًا للحِمَايَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُعِيذُهُ وَيَحْمِيهِ مِمَّا يَخَافُ.{وَمَا تَرَدَّدتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ} وَلَيْسَ هَذَا التَّرَدُّدُ مِنْ أَجْلِ الشَّكِّ فِي الْمَصْلَحَةِ، وَلَا مِنْ أَجْلِ الشَّكِّ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى فِعْلِ الشَّيْءِ ،بَلْ هُوَ مِنْ أَجْلِ رَحْمَةِ هَذَا الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعْلِيلًا لِهَذَا التَّرَدُّدِ:{يَكْرَهُ الْمَوْتَ} لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ الْعَظِيمِ،{وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ}؛لِمَا يَلْقَى

الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمَوْتِ وَصُعُوبَتِهِ.فَالْعَبْدُ الَّذِي صَارَ مَحْبُوبًا للحَقِّ مُحِبًّا لَهُ، يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ أَوَّلًا بِالْفَرَائِضِ، وَهُوَ يُحِبُّهَا، ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي النَّوَافِلِ الَّتِي يُحِبُّهَا وَيُحِبُّ فَاعِلَهَا، فَأَتَى بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَحْبُوبِ الْحَقِّ، فَأَحَبَّهُ الْحَقُّ لِفِعْلِ مَحْبُوبِهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ بِقَصْدِ اتِّفَاقِ الْإِرَادَةِ؛ بِحَيْثُ يُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ، وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ مَحْبُوبُهُ، وَالرَّبُّ يَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَ عَبْدَهُ وَمَحْبُوبَهُ، فَلَزِمَ مِنْ هَذَا أَنْ يَكْرَهَ الْمَوْتَ؛ لِيَزْدَادَ مِنْ مَحَابِّ مَحْبُوبِهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ قَضَى بِالْمَوْتِ، فَكُلُّ مَا قَضَى بِهِ فَهُوَ يُرِيدُهُ، وَلَا بُدَّ مِنْهُ؛ فَالرَّبُّ مُرِيدٌ لِمَوْتِهِ لِمَا سَبَقَ بِهُ قَضَاؤُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَارِهٌ لِمَسَاءَةِ عَبْدِهِ، وَهِيَ الْمَسَاءَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُ بِالْمَوْتِ؛ فَصَارَ الْمَوْتُ مُرَادًا للحَقِّ مِنْ وَجْهٍ، مَكْرُوهًا لَهُ مِنْ وَجْهٍ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّرَدُّدِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: النَّهْيُ عَنْ إِيذَاءِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

-وَفِيهِ: التَّرْغِيبُ فِي حُبِّ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ، وَالاعْتِرَافِ بِفَضْلِهِمْ.

-وَفِيهِ: أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ فِعْلُ الْفَرَائِضِ، وَأَفْضَلُ الْقُرُبَاتِ بَعْدَهَا فِعْلُ النَّوَافِلِ.

-وَفِيهِ: دَلَالَةٌ عَلَى شَرَفِ الْأَوْلِيَاءِ وَرِفْعَةِ مَنْزِلَتِهِمْ.

•فَأَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ سَبِيلُ الْوِلَايَةِ،وَسَبِيلُ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَبِنَاءِ الْإِنْسَانِ الصَّالِحِ، وَقَدْ جَاءَتْ نُصوص الْوَحَيَيْنِ تُؤَكِّدُ ذَلِكَ:

•فَعَنْ أَثَرِ الصَّلَاةِ فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }.(العنكبوت:٤٥).وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ}.(هود:١١٤).

-وَأخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقِمِ(٥٢٨) وَمُسْلِمٌ بِرَقِمِ(٦٦٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{أَرَأَيْتُمْ لَوْ أنَّ نَهْرًا ببَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ،قَالَ : فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ،يَمْحُو اللَّهُ بهِنَّ الْخَطَايَا}.

•وَعَنْ فَرِيضَةِ الزَّكَاةِ وَأثَرِهَا فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(التَّوبة:١٠٣).

-وَأخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقِمِ(١٦٩٨)

وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْألْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ بِرَقِمِ(١٦٩٨)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمرو -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ أمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا وَأمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا وَأمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا}.وَالزَّكَاةُ تَطْهِيرٌ لِلنَّفْسِ مِنَ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ.

•وَعَنْ فَرِيضَةِ الصِّيَامِ وَأثَرِهَا فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }.(البقرة:١٨٣).

-وَأخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقِمِ(١٩٠٤)وَمُسْلِمٌ بِرَقِمِ(١١٥١)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{قَالَ اللَّهُ:كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ،إلَّا الصِّيَامَ

؛ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ}.

•وَعَنْ فَرِيضَةِ الْحَجِّ وَأَثَرِهَا فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}. (البقرة:١٩٧).

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(١٢١)مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ:يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ،قَالَ:فَقَبَضْتُ يَدِي،قَالَ:{مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِّينَا أَشْيَاءَ

مَا أدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي}.

(ب):الْإِسْلَامُ وَبِنَاءُ الْأَوْطَانِ:

•مِنْ مَحَاسِنِ التَّشْرِيعِ فِي الْإِسْلَامِ حِرْصُهُ الشَّدِيدُ عَلَى بِنَاءِ الْأَوْطَانِ،فَبَيَّنَ عَوَامِلَ خَرَابِ الْأَوْطَانِ كَالْكُفْرِ وَالْفِسْقِ وَالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ،كَمَا بَيَّنَ عَوَامِلَ بِنَاءِ الْأَوْطَانِ كَصِدْقِ الْإِيمَانِ وَالاسْتِقَامَةِ عَلَى مَنْهَجِ اللَّهِ وَالتَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْعَدْلِ وَنَشْرِ الْخَيْرِ وَالْأَخْذِ بِأَسْبَابِ الْعُمْرَانِ،هَذَا وَقَدْ قَرَأْتُ مَقَالًا فِيهِ خَيْرٌ كَثِير حَوْلَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِعُنْوَانِ(حَقّ الْوَطَنِ وَالْمُشَارَكَة فِي بِنَائِهِ مِنْ خِلَالِ الْحَدِيثِ عَنِ الْمُؤْتَفِكَاتِ)للكَاتِبِ الشَّيْخ (مُحَمَّد سَيِّد حِسين عَبْدِ الْوَاحِدِ-حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى-)سَأَنْقُلُهُ بِنَصِّهِ لأهَمِّيَّتِهِ حَيْثُ بَدَأَهُ الْكَاتِبُ بِآيَاتٍ ثَلَاثٍ فَقَالَ:{-أَمَّا الْآيَةُ الْأُولَى: فَفِي سُورَةِ التَّوْبَةِ وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.(التَّوبة:٧٠).

-وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ: فَفِي سُورَةِ النَّجْمِ وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: { وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ }.(النَّجم:٥٣).

-وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّالِثَةُ فَفِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :{وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ }.(الحاقّة:٩).

-فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَرَدَ لَفْظُ (الْمُؤتَفِكَات) : فَمَا الْمُؤتَفِكَاتُ ؟.

-الْمُؤتَفِكَاتُ:هِيَ دِيَارُ الظَّالِمِينَ.

-الْمُؤتَفِكَاتُ:هِيَ قُرَي الْكَافِرِينَ.

-الْمُؤتَفِكَاتُ:هِىَ بِلَادٌ وَأوْطَانٌ سَكَنَهَا الْمُجْرِمُونَ.

-الْمُؤتَفِكَاتُ:هِىَ الرِّيَاحُ الشَّدِيدَةُ الَّتِي تَقْلِبُ الْأرْضَ رَأسًا عَلَى عَقِبٍ.

-الْمُؤتَفِكَاتُ:هِىَ الْمَوَاضِعُ الَّتِي ائتُفِكَتْ وَهُدِمَتْ عَلَى رُؤوسِ أهْلِهَا.

-قِيلَ: إنَّ الْمَقْصُودَ ب(الْمُؤتَفِكَاتِ) هُمْ قَوْمُ لُوطٍ-عَلَيْهِ السَّلَامُ-وَقِيلَ بَلْ هُمْ قَارُونُ وَقَوْمُهُ، وَقِيلَ هُمْ كُلُّ مَنِ ائتُفِكَتْ بِهِمْ وَانْقَلَبَتْ بِهِمْ وَهَلَكَتْ بِهِمْ دِيَارُهُمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

-قُلْتُ : وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ الْأخِيرِ فَالْمُؤتَفِكَاتُ كَلِمَةٌ عَامَّةٌ تَشْمَلُ كُلَّ مَنْ ائتُفِكَتْ بِهِمْ وَانْقَلَبَتْ بِهِمْ وَهَلَكَتْ بِهِمْ دِيَارُهُمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ قُلْتُ:وَهَؤلَاءِ كَثِيرِينَ . لَكِنْ يَبْقَى قَوْمُ لُوطٍ هُمُ الْأشْهَرُ بَيْنَ الْمُعَذَّبِينَ، وَيَبْقَى حَدِيثُهُمُ الْأكْبَر بَيْنَ الْمُؤتَفِكَاتِ.

كَفَرُوا بِاللَّهِ تَعَالَى، وَعَمِلُوا مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالرَّذَائِلِ وَالْمُنْكَرَاتِ أعْمَالاً، قَطَعُوا الطَّرِيقَ، وَرَوَّعُوا الْآمِنِينَ، وَنَكَّلُوا بِالضُّعَفَاءِ، وَعَذَّبُوا الْمَسَاكِينَ، أشْرِبَتْ قُلُوبُهُمْ مَحَبَّةَ الْفَاسِقِينَ، وَكُرْهَ الصَّالِحِينَ، فَقَدَّمُوا الْأفَّاكِينَ، وَاعْتَزَلُوا الصَّادِقِينَ، وَقَرَّبُوا الْأنْجَاسَ، وَفَارَقُوا الطَّاهِرِينَ،أمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَمْ يُعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، صَبَرَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يُعَامِلُهُمْ بِحِلْمِهِ، وَيُسْبِلُ عَلَيْهِمْ سِتْرَهُ، وَيَفْتَحُ لَهُمْ أبْوَابَ رَحْمَتِهِ، لَكِنَّهُمْ أبَوْا أنْ يَدْخُلُوهَا، وَاسْتَعْجَلُوا الْعَذَابَ فَنَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ: { وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ(٧٧)وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى

بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ(٧٩)قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ
رُكْنٍ شَدِيدٍ(٨٠)قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ‌ۖفَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ‌ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ‌ۚ إِنَّ
مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ‌ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ(٨١)فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ(٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ‌ۖ
وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ }.(هود:٧٧-٨٣).

أمَرَ اللَّهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاقْتَلَعَ الْقُرَى وَكَانَتْ (خَمْسَ قُرى) وَاقْتَلَعَ مَعَهَا دِيَارَ الظَّالِمِينَ مِنْ جُذُورِهَا، وَإِلَى السَّمَاءِ رَفَعَهَا، ثُمَّ قَلَبَهَا وَرَجَعَ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، ثُمَّ أُتْبِعُوا بِوَابِلٍ مِنَ الْحِجَارَةِ.

-إلَي يَوْمِنَا هَذَا يَبْقَى قَوْمُ لُوطٍ هُمُ الْأَشْهَرُ بَيْنَ الْمُهْلَكِينَ، وَيَبْقَى حَدِيثُهُمُ الْأَكْبَرُ بَيْنَ الْمَدَائِنِ وَالْأَوْطَانِ الَّتِي ائتُفِكَتْ بِذُنُوبِ سُكَّانِهَا . هُدِمَتْ عَلَيْهِمْ دِيَارُهُمْ وَجُعِلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا . وَبَقِيَ لِيَوْمِنَا هَذَا مِنْهَا عَلَامَةٌ.إنَّهُ الْبَحْرُ الْمَيِّتُ طُولُهُ أَكْثَر مِنْ خَمْسِينَ كِيلُو مِتْر وَعَرْضُهُ أَكْثَر مِنْ خَمْسَة عَشَر كِيلُو مِتْر وَهُوَ يَنْخَفِضُ تَحْتَ سَطْحِ الْبَحْرِ لأَكْثَر مِنْ أرْبَعمَائة مِتْر .أمَّا مَاءُ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ فَالْمِلْحُ فِيهِ تِسْعَةُ أَضْعَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْبِحَارِ، وَأَمَّا حَيَاةُ الْأَسْمَاكِ فِيهِ وَحَيَاةُ النَّبَاتِ فَمُنْعَدِمَةٌ اللَّهُمَّ إلَّا مِنْ بَعْضِ الفِطْرِيَّاتِ الَّتِي لَا تَكَادُ تُرَى . دَمَّرَ اللَّهُ دِيَارَ الظَّالِمِينَ لَكِنَّهُ أبْقَى فِيهَا آيَةً، أبْقَى فِيهَا عَلَامَةً يَتَّعِظ بِهَا الْعَاقِلُونَ .قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ:{وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ }.(الذّاريات:٣٧). أحْسِبُ وَاللَّهُ أعْلَمُ أنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْمَتْرُوكَةَ عِظَة وَعِبْرَة للذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ هِىَ الْبَحْرُ الْمَيِّتُ.

-وَالسُّؤالُ يَقُولُ: هَلْ يَجُوزُ الْقُدُومُ عَلَى مَوْضِعٍ كَالْبَحْرِ الْمَيِّتِ وَتَحْتَهُ دِيَارُ الْمُعَذَّبِينَ ؟.

-نَعَم يَجُوزُ الْقُدُومُ وَيَجُوزُ الْمُرُورُ بِدِيَارِ الْمُعَذَّبِينَ،الدَّلِيلُ:قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{
أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ‌ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ

عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا }.(محمّد:١٠). لَكِنْ تَنَبَّهَ أخِي: إلَى أنَّ السُّنَّةَ عِنْدَ الْقُدُومِ وَعِنْدَ الْمُرُورِ بِدِيَارِ الْمُعَذَّبِينَ أنْ نَبْكِي لأنَّهَا مَوَاضِعُ سَخَطٍ وَمَنَازِلُ بَلَاءٍ، نَبْكِي اتِّعَاظًا وَاعْتِبَارًا خَشْيَةَ أنْ يُصِيبَنَا مَا أصَابَهُمْ ، قَالَ النَّبِيُّ-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-لأصْحَابِهِ لَمَّا وَصَلُوا الْحِجْرَ (دِيَار ثَمُودَ):{لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إلَّا أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَإنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لَا يُصِيبُكُمْ مَا أصَابَهُمْ}،نَسْألُ اللَّهَ تَعَالَى أنْ يَكْفِيَنَا شَرَّ أنْفُسِنَا وَأنْ يَحْفَظَ بَلَدَنَا مِصْرَ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ إنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

-بَقِيَ لَنَا فِي خِتَامِ الْحَدِيثِ أنْ نَقُولَ: إنَّ الْإنْسَانَ قَدْ يَكُونُ آلَةَ بِنَاءِ الْوَطَنِ الَّذِي يَسْكُنُهُ،وَقَدْ يَكُونُ آلَةَ هَدْمٍ لِوَطَنِهِ.

-الْإنْسَانُ هُوَ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ فِي بِنَاءِ الْبِلَادِ الَّتِي يَسْكُنُهَا إنْ كَانَ مُؤمِنًا، إنْ كَانَ يَخْشَى اللَّهَ،إنْ كَانَ يُرَاقِبُ اللَّهَ تَعَالَى:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}.(الأعراف:٩٦).

بِصَلَاحِ الْإنْسَانِ يُصْلِحُ اللَّهُ الْأرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، يُصْلِحُ الْمَاءَ يُصْلِحُ الْهَوَاءَ يُصْلِحُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ يُصْلِحُ اللَّهُ الْبِلَادَ وَمَا عَلَيْهَا إذَا صَلَحَتْ أحْوَالُ الْعِبَادِ وَصَدَقَتْ نَوَايَاهُمْ .

-وَقَدْ يَكُونُ الْإنْسَانُ أيْضًا حَجَرَ الزَّاوِيَةِ فِي خَرَابِ الْوَطَنِ الَّذِي يَسْكُنُهُ إنْ كَانَ كَفُورًا، إنْ كَانَ ظَلُومًا، إنْ كَانَ جَهُولًا، إنْ كَانَ أثِيمًا

:{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }.(النَّحل:١١٢).

-تَنْقَلِبُ الدُّنْيَا، وَتَفْسَدُ الْأَرْضُ، وَيَهْلَكُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ، وَتَجُوعُ الْخَلَائِقُ، وَتُنْتَزَعُ الْبَرَكَاتُ، وَتُمْنَعُ الْقَطَرَاتُ، إِذَا حَضَرَ الْمُفْسِدُونَ وَتُرِكُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْخَذَ عَلَى أَيْدِيهِمْ.

-قَالَ النَّبِيُّ-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-:{إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا}.انْتَهَى كَلَامُهُ.

•فَحِفْظُ الْأَوْطَانِ يَكُونُ بِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ،وَالاسْتِقَامَةِ،وَوِحْدَةِ الصَّفِّ،وَعَدَمِ التَّنَازُعِ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.(آل عمران:١٠٣).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.(الأنفال:٤٦).

-مَعَ اتْقَانِ الْعَمَلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.(التوبة:١٠٥).

-وَحِفْظُ الْأَوْطَانِ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ،وَانْتِشَارِ الْفَوْضَى وَزَعْزَعَةِ الْأَمْنِ.

•ثَانِيًا:الْإِسْلَامُ وَالْهَدْمُ:

•جَاءَ الْإِسْلَامُ لِيَهْدِمَ الشِّرْكَ وَالْبِدَعَ وَالْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ وَالرَّذَائل مِنْ أجْلِ حِمَايَةِ الْإِنْسَانِ وَحِفْظِ الْأَوْطَانِ .

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ (النِّساء:٤٨).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.(الأنعام:١٥١-١٥٣).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.(المائدة:٩٠).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا }.(الإسراء:٣٢).

-وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ (٢٥٥٠)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ (١٧١٨)

مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ} .

-وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ:{مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ}.

-وَأخرجَ الإمامُ الترمذيُّ -رحمه الله -في سننهِ كتابِ العلمِ بابِ ماجاءَ في الأخذِ بِالسُّنَّةِ واجتنابِ البدعِ برقم(٢٦٧٦)

عَنِ العرباضِ بنِ سارية -رضيَ اللهُ عنه-، قالَ: وعظنا رسولُ اللهِ - صلى اللهُ عليهِ وسلم- يوما بعدَ صلاةِ الغداةِ موعظةً بليغةً ذرفت منها العيونُ ووجلت منها القلوبُ، فقالَ رجلٌ:إنّ هذهِ موعظةُ مودِّعٍ فماذا تعهدُ إلينا يا رسولَ اللهِ؟ قالَ:{أوصيكم بتقوى اللهِ والسمعِ والطاعةِ، وإن عبدٌ حبشيٌ، فإنه من يعشْ منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنها ضلالةٌ فمن أدركَ ذلكَ منكم فعليهِ بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديين، عضوا عليها بالنواجذِ }.

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٦٤٩٦)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ :{اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ}.

-وَمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ مُعَلَّقًا بِرَقَمِ(٥٧٠٧)مِنْ حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ}.

•فَمَا أعْظَمَ التَّشْرِيعَ فِي الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِالْبِنَاءِ لِلتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَالْقِيَمِ وَالْفَضَائلِ، وَالْهَدْمِ لِلشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالْمُحْدَثَاتِ وَالْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ وَمَسَاوِئ الْأَخْلَاقِ،مِنْ أجْلِ بِنَاءِ الْإِنْسَانِ الصَّالِحِ الَّذِي يَعْمَلُ عَلَى بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الصَّالِحِ!!

•فَاللَّهُمَّ اجْعَلْ بَلَدَنَا مِصْرَ أمْنًا أمَانًا،سَخَاءً رَخَاءً،وَسَائرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تمت ولله الحمد

صفحة الشيخ علي الموسوعة في الفيسبوك

https://www.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D9%91%D9%90%D8%AF-%D8%B9%D9%8E%D8%A8%D9%92%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%92%D8%B9%D9%8E%D8%A7%D8%B7%D9%90%D9%8A-%D8%A8%D9%92%D9%86-%D9%85%D9%8F%D8%AD%D9%8E%D9%85%D9%91%D9%8E%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%91%D9%8E%D9%87%D9%8E%D8%A8%D9%90%D9%8A%D9%91%D9%8F-110240121309782/?ref=pages_you_manage

صفحة الشيخ وكتبه علي موقع نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%8A-%D8%A8%D9%86-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A-pdf

الحمد لله رب العالمين

مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية